المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 23-12-2006 العـــدد : 14728
الصفحـات : 19 المسلسل : 143

منهجية جديدة.. لملك إنسان

هاشم عبده هاشم

** بزيارة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لعُمان اليوم.. تترسخ معان جديدة لمفهوم الأمة.. أو الإقليم.. أو المصلحة القومية العليا..

** وبصورة أكثر تحديداً.. فإن «الملك» عمل ويعمل باستمرار على تخطي كل العقبات.. والجسور.. والموانع.. التي تحول دون إخضاع «الجغرافيا» لأهداف الأمة التوحدية.. واندماجها في المصير المشترك الواحد..

** فالأرض ليس لها قيمة.. إن هي لم تخدم أهداف الإنسان وغاياته النبيلة..

** والحدود لا يجب أن تشكل موانع فاصلة.. بين الإخوة والأشقاء..

** والصيغ والاتفاقيات المبرمة بين الدول.. تظل وسائل وأدوات وقواعد في تنظيم علاقات الجيران.. لكنها لا ينبغي أن تتحول إلى براميل بارود قابلة للانفجار في أي لحظة.. وعند أي احتكاك عابر.. كما يحدث بين كثير من الدول مع جوارها..

** والمواقف والسياسات حين تتشكل داخل الدولة.. أو بين أي دولة ودولة.. فإنها إنما تخضع للإرادة.. وتستجيب لأنماط التفكير التي تحكم العلاقات الثنائية أيضاً..

** وهكذا ظلت تلك النظرة التقليدية تتحكم في رسم خطوط العلاقات بين دول العالم ومجتمعاته.. وفقاً للأنظمة والشرائع الدولية المنظمة لهذه العلاقات..

** ولذلك فإن فرص الاندماج.. أو التكامل.. أو الاتحاد.. أو التوحد.. تحت أي مسمى (كونفدرالي) أو (فيدرالي) أو (وحدة) كانت تمر بمراحل طويلة.. من التفاوض.. والحوار.. أو الجدل الصعب.. بعيداً عن العواطف.. أو القيم والأخلاقيات.. بما في ذلك مفهوم الصداقة.. والإخوة.. والجوار..

** لكن الملك «عبدالله».. ومنذ وقت بعيد.. تعامل بصورة مختلفة مع قضايا الحدود.. والحقوق الوطنية.. ومفاهيم العلاقات الثنائية المحكومة بقانون «السيادة» والمرتبطة بمفاهيم الاستقلال.. وشروط السلامة والأمن وضوابطهما (الحادة).

** ذلك أن نظرته تتجاوز هذه الصيغ.. والتشكيلات.. والقواعد المنظمة للعلاقات ولاسيما بين الإخوة والأشقاء ودول الجوار..

** تتجاوزها.. لإيمانه بأنه لا شيء يتقدم على الأخوة.. ولا شيء

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 23-12-2006 العـــدد : 14728
الصفحـات : 19 المسلسل : 143

يتفوق على المصير الحقيقي المشترك.. ولا شيء يعلو فوق وحدة العقيدة والدم والجوار، وبالتالي فإنه لا يجب الارتهان للحدود الفاصلة بين الشعوب.. كما أنه لا يجب الاستسلام للتراكمات التاريخية، أو الحسابات المصلحية الضيقة.. وإنما يجب القفز عليها بحسن النوايا.. وسلامة المقاصد.. ونداء الدم.. واللغة.. والمعتقد.. أولاً وأخيراً..

** وبهذا النمط من التفكير «الوحدوي» و«المصيري» و«القيمي» و«الإنساني» أنهى العديد من القضايا المعلقة مع كل الجيران.. مع اليمن.. وقطر.. والإمارات العربية المتحدة.. وعُمان.. ليس لأنه «عروبي» النزعة فحسب، وإنما لأنه يمتلك رؤية سامية.. تنظر إلى (زمكانية) العلاقة من منظور القدرة الخلاقة للإنسان على تطويع مشاكله إذا آمن بأهداف سامية.. ونظر إلى الآخرين نظرته إلى نفسه.. وإلى أبناء شعبه.. وإلى حقوق الكل.. نظرة شراكة.. وتقاسم مصير.. وليس نظرة استحقاقات مادية.. أو قانونية.. أو مصلحية..

** وبهذا السمو.. استطاع «الملك عبدالله» أن يعطي العلاقات الثنائية مع الأخوة والأشقاء دفعة قوية من الثقة المتبادلة والتعاون البناء والتفاهم الشامل، بعيداً عن النصوص الجامدة للمعاهدات والاتفاقيات وقريباً من لحمة الإخوة الحقيقية الصادقة..

** وعندما يزور اليوم (عُمان) بعد آخر زيارة قام بها (لحضور القمة الخليجية) لهذا البلد الشقيق في عام (١٤٢٢هـ) فإنه يعطي بذلك دفعة قوية لعلاقات تاريخية ذات طبيعة مصيرية مع بلد قدم فيه السلطان قابوس.. نموذجاً للمجتمعات الطموحة.. والمواقف والسياسات الرصينة، والخطوات الواثقة نحو مستقبل مشرق لشعب صنع غده بأظافره.. وبقدراته الذاتية.. وبشخصيته المتميزة والمستقلة.

** وإذا كان الملك عبدالله قد ذهب إلى أقصى أقاصي الدنيا.. إلى أقصى الشرق.. وأقصى الغرب.. وعقد معهم شراكة عريضة وموسعة.. وسن منهجاً جديداً لعلاقات يحكمها العقل.. وتعززها المصالح المشتركة.. فإنه ومن باب أولى أن يفتح الحدود.. ويذيب الفروق.. ويتغلب على كل الصعاب التي تحول دون دمج مصالح دولنا وشعوبنا نحن أبناء الخليج والجزيرة العربية.. بل وكل أبناء الأمتين العربية والإسلامية..

** إن هذه المنهجية في التفكير.. وفي التخطيط السياسي للملك عبدالله.. تبدو في زمننا هذا نموذجاً مختلفاً.. ومغايراً لكل ما هو سائد وقائم وموجود.. ولاسيما في منطقتنا العربية على وجه التحديد..

** تلك أن الاقتتال لم يعد بين دول الجوار.. وحول قضايا حدودية.. أو مصالح متعارضة.. أو انتماءات متضادة.. وإنما أصبح الاقتتال سمة بارزة في التعامل حتى بين أبناء الشعب الواحد..

** فأن يأتي الملك عبدالله.. ليقول لأمته.. إن علينا أن نتسامى فوق خلافاتنا.. وحساسياتنا.. وحساباتنا.. ومصالحنا الضيقة.. وأن نبني عوضاً عنها مزيداً من الثقة.. بين بعضنا البعض.. ومن باب أولى أن لا نسمح بأن تراق دماؤنا بأيدينا.. ونعرض شعوبنا لأخطار كارثية كالتي نعايشها الآن..

** الملك عبدالله بهذا السمو في التفكير.. وفي التأطير الأخلاقي للعلاقات بين دول الجوار.. لا يرفض الحدود والفواصل والتقسيمات الوهمية فحسب، بل يُطالب بأن نطرد كل شكل من أشكال التفكير أو الممارسات التي تؤدي إلى الانقسام والتشرذم..

** ومن أجل ذلك فإن مشاعره الداخلية تنزف هذه الأيام وهو يرى ما حل بهذه الأمة.. من داخلها..!

> منهجية الملك عبدالله في التفكير والفعل نموذج مختلف عن كل ما هو سائد

** فهل تجد مُثُله ومبادئه وتوجهاته هذه آذاناً صاغية.. وقلوباً واعية.. تضع كل هذه الجراحات خلفها.. وتنتبه إلى مصير شعوبها.. وتؤسس لمستقبل قائم على الحب.. والثقة.. والولاء.. والوفاء.. بدلاً من الصراعات.. والتوترات التي لا تقود إلا للدمار؟!

** إن لدي شعوراً طاغياً بالارتياح لهذه الزيارة.. لأنها تجدد روح التفاؤل في إمكانية غلبة العقل الإنساني.. والحكمة الصادرة عن القلوب المؤمنة بأهداف أمتها.. والنابعة من عقيدة سامية.. ونبيلة..

** فالملك عبدالله بسياسته الراجحة.. والسلطان قابوس بعقلانيته.. وبعض الزعامات العربية.. بحرصها على مصير هذه الأمة.. يستطيعون طمأنتنا.. وفتح أبواب الأمل المغلقة أمامنا..

** وكم أتمنى أن تخضع توجهات الملك عبدالله.. من قبل الباحثين والدارسين وعلماء السياسة والأخلاق لدراسات معمقة واستنباط قواعد للسلوك الحضاري والإنساني الخلاق..

*** ومضة :**

** «لا شيء يعرّض مصالح الأمم للخطر.. كالتهور.. والشعور الخاطئ بالعظمة المزيفة..».

hhashim@okaz.com.sa